



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جدد إيمانك بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

إعداد: خالد المغربي - فلسطين - القدس - المسجد الأقصى

تاريخ الطباعة: 17 صفر 1432 هجري

www.al-msjd-alaqsa.com

وفق: 2011/01/21م

نبضات من تبيان القرآن - في أول أمثال سورة البقرة - الحلقة 4

يقول عز وجل (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(البقرة: 17-20).

(فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)

قلنا أن مقصد الحواس التي أنعم الله بها علينا هو استشعار آيات الله في كل شيء ثم تذكر العهد الذي بيننا وبين الله، ثم الإستقامة على الصراط المستقيم في اتباع أوامر الله والإنتهاء عن نواهيه، وعدم تذكر هذا العهد من هذه الآيات هو بمثابة كذب من هذا الإنسان على الله، يقول عز وجل (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (الأنعام: 39). فالمعاصي وعدم الطاعة كلها أفعال تدل على تكذيب العبد بالعهد الذي بينه وبين الله، لذلك أعقب عز وجل قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أعقبه بعد عدة آيات بقوله (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، فكانت كلمة

Jerusalem - The old City - Esa'dya - Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس - البلدة القديمة - حارة السعدية - طريق المنذنة الحمراء -
رقم 9
ص.ب: 51172، تليفاكس: +97226282173 +محمول:
972523623683، بريد إلكتروني:
www.almrkz.org, khm@khm2000.com
msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com



طبيعته، ولا يستطيع تركها أو العودة عنها. وما سنحاوله في هذه المطوية هو تبيان العلاقة بين الختم والطبع، وسأبدأ بالنتيجة ثم سنراجع هذه النتيجة في آيات الله التي ذكرت الختم والطبع مع الكفار والمنافقين والظالمين والمعتدين والمتكبرين الجبارين، ذلك أن الختم يأتي مع هؤلاء الذين عاشوا ولم يكن بين ظهرانيهم رسلٌ أو نبيٌّ أو كتابٌ سماوي أو أنه تم تحريف كلام الله في الكتاب الذي بين أيديهم، أما الطبع فيكون على قلوب هؤلاء الذين كان بين ظهرانيهم رسول أو نبي أو كتاب سماوي سليم من التزوير والتحريف كما هو الحال مع القرآن الكريم.

آيات الختم مع الكفار

دعونا الآن لنلقي نظرة متأملة ومتدبرة للآيات التي جاء فيها ذكر الختم على قلوب هؤلاء الكفار: - يقول عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ). (البقرة 2: 6-7). لاحظ أن الكفر سبق الإنذار، فالختم قبل الإنذار، أي قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقول عز وجل (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ نَشَاءُ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (الأنعام 6: 46-48). لاحظ أن قول الله عز وجل (وما نرسل المرسلين) كان بعد الختم، أي أن الختم كان قبل مجيء المرسلين، ويقول عز وجل (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ



مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). (الجن: 45: 23-25)، لاحظ قول الله عز وجل (وإذا تتلى عليهم آياتنا التي تدل على كتاب سماوي من عند الله وقد جاءت بعد الختم، أي أن الختم كان قبل وصول هذه الكتب السماوية.

آيات الطبع مع الكفار

يقول عز وجل (فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ **وَكُفْرِهِمْ** بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ **طَبَعَ** اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا). (النساء: 4: 155)، لاحظ قوله عز وجل (وقتلهم الأنبياء) الذي يدل على أن الطبع كان بوجود الأنبياء، ويقول عز وجل (تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ **الْكَافِرِينَ**). (الاعراف: 7: 101). لاحظ قوله عز وجل (جاءتهم رسالهم) الدالة على أن الطبع كان بوجود الرسل، ويقول عز وجل (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ **نَطْبَعُ** عَلَىٰ قُلُوبِ **الْمُتَعَدِّينَ**). (يونس: 10: 74). حيث من الواضح أيضا أن الطبع كان من بعد بعث الرسل، ويقول عز وجل (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ **بِالْكُفْرِ** صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ **الْكَافِرِينَ** * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ **طَبَعَ** اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ). (النحل: 16: 106-108). فقوله عز وجل (من بعد إيمانه) يدل على وجود الأنبياء أو المرسلين أو الكتاب السماوي السليم، ويقول عز وجل (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ **كَفَرُوا** إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ * كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا



يَعْلَمُونَ). (الروم: 30: 58-59)، ففي هذا الآية ذكر القرآن الكريم صراحةً، فالطبع كان بوجود هذا الكتاب السماوي المبارك المحفوظ، ويقول عز وجل (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ). (غافر: 35)، فقوله عز وجل (وعند الذين ءامنوا) إنما يدل على وجود الإيمان لوجود رسول أو نبي أو كتاب سماوي، ويقول عز وجل (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ). (المنافقون: 63: 3)، وهذه الآية تبين بشكل واضح وجود رسول بين أظهر هؤلاء الذين طبع على قلوبهم. وبهذا تظهر لنا العلاقة ما بين الختم والطبع، فكلاهما إغلاق للقلب، ولكن الختم هو إغلاق لقلب الكافر في وقت لم يكن في حياته رسول يدلّه أو نبي يذكره أو كتاب يهديه، أما الطبع فهو إغلاق لقلب الكافر مع أن هناك رسول أو نبي معاصر له أو كتاب بين يديه، ولأن الله قال (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: 17: 15)، فقد كان لمن ختم قلبه بالمعاصي وأصبح على قلبه ران كان له مجال للتوبة، ولكن من كان يعصي في حياة رسول أو نبي يدلّه ويرشده أو بين يديه كتاب سليم أو محفوظ يهديه بلا إستغفار وبلا توبة وإستمر بالمعاصي حتى أصبح على قلبه هذا الران فلا مجال لعودته ولا مجال لتوبته.

(فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) - تَعُودُ عَلَىٰ مَنْ خُتِمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

مع أن كلاً ممن ختم على قلبه أو من طبع على قلبه لا يستطيع بذاته العودة للحال الأولى التي خلقه الله عليها من تلقاء نفسه بل يجب أن يعيده خالقه لهذه الحالة، إلا أننا



وبالرجوع للآيات التي تسبق هذه الآية سنجد أن الله قد جاء على ذكر (الختم)، في قوله عز وجل (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، ولم يأتي على ذكر (الطبع)، مما يدل على أن قوله (فهم لا يرجعون) إنما تعود على أن هؤلاء الكفار الذين قالوا لله (بلى) في السماوات وقالوها كذباً، فكان هذا الكذب على الله هو أكبر المعاصي على الإطلاق وكانت نتيجته أن خُتِمَت قلوبهم، وما كان بإمكانهم أن يتوبوا أو يأتوا أو أن يُغفر لهم، واستحقوا على هذا الكذب العذاب الأليم في نار جهنم، وما عاد بيدهم حيلة ليرجعوا عما فعلوا، إلا أن كرم الله ورحمته سبقت عذابه فأعطاهم الفرصة بقوله (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)، فأنازل الله قلوبهم من جديد وأعطاهم فرصة أخرى بأن أهبطهم إلى الأرض يروا آيات الله ويختبروها، وتأتيهم رسالته وأنبياءه وكتبه، فكانت هذه حياة جديدة وفرصة ثانية برحمته عز وجل.

-- يتبع --

www.al-msjd-alaqsa.com

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المنذنة الحمراء –
رقم 9
ص.ب: 51172، تليفاكس: +97226282173 +محمول:
+972523623683، بريد إلكتروني:
www.almrkz.org , khm@khm2000.com
msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com